

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَجْزِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ

٣
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

قِصَّةُ كُتَيْبٍ فِي الطَّلَاقِ
بَيْنَ الْمَرْصَلِ وَبَعْدَاك

تَأليفه

عَاصِمُ الْكُتَابِ وَالرُّسُلِ
أَبُو عَمْرٍو اللَّهِ لَيْثُ الْحِيَالِي

{ توبةُ شابٍ عاصٍ }

قصةٌ حقيقيةٌ كُتِبَتْ بِالْقَطَارِ بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَبَغْدَادَ

المُقرَّنةُ

بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدَى وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا، فَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَاصِي إِذَا تَابَ، وَالْمُذْنِبِ إِذَا أَقْلَعَ عَنِ الذَّنْبِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَأَبْدَأُ بِسْمِ اللَّهِ بِكِتَابَةِ قِصَّةٍ مِنَ الْوَاقِعِ وَهِيَ قِصَّةٌ حَقِيقَةٌ، مَعَ بَعْضِ التَّغْيِيرِ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ حَدَّثَتْ فِي مَحَافِظَةِ الْمَوْصِلِ فِي الْعِرَاقِ، وَإِنَّ فِيهَا لَعِبْرَةً وَحِكْمَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَكُتِبَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي الْقَطَارِ بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَبَغْدَادَ، فَأَرْجُو مِنْ أَحِبَّتِي فِي اللَّهِ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ وَأَنْ يَأْخُذُوا مِنْهَا الْمَوَاعِظَ وَالْعِبْرَ، رَاجِيًّا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خَادِمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَيْثُ الْعِيَالِيُّ

إِنَّهُ شَابٌ مِنَ الْمُوَصَّلِ اسْمُهُ قَاسِمٌ، وَكَانَ هَذَا الشَّابُّ مِنَ الْعَاصِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمَذْنِبِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى أَنْ الْأَرْضَ كَانَتْ تَكْرَهُ ذُنُوبَهُ وَمَعَاصِيَهُ، إِذْ نَشَأَ هَذَا الشَّابُّ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ رَغْمَ أَنَّهُ شَابٌ صَغِيرٌ فِي الْعُمُرِ وَكَانَ يَشْرَبُ السُّكَّاتِرَ مِنْذُ أَنْ كَانَ عَمْرُهُ اثْنَيْ عَشَرَ سَنَةً، إِلَى أَنْ وَصَلَ عَمْرُهُ إِلَى الْعِشْرِينَ، وَاسْتَمَرَ هَذَا الشَّابُّ فِي مَعَاصِيِهِ وَذُنُوبِهِ فَكَانَ دَائِمًا يَبْحَثُ عَنِ إِثَارَةِ الْفِتَنِ بَيْنَ أَهْلِهِ وَأَقْرَابِهِ، وَفِي الطَّرِيقَاتِ وَالْأَسْوَاقِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ، فَكَانَتْ أَنَا عِنْدَمَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَرْجِعَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى اللَّهِ، وَكَانَ ذَلِكَ لِكثَرَةِ ذُنُوبِهِ وَمَعَاصِيِهِ، حَيْثُ أَنَّهُ فِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ أَتَى إِلَى بَيْتِنَا فِي بَغْدَادَ وَفِي الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ فِي رَمَضَانَ وَكَانَ كَالْعَادَةِ غَيْرَ صَائِمٍ، فَقُلْتُ لَهُ يَا أَخِي لِمَاذَا لَا تَصُومُ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ، وَالنَّاسُ فِيهِ صَائِمُونَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الصِّيَامِ، فَقَالَ لِي قَاسِمٌ بَاسْتِهْزَاءٍ: إِنَّ اللَّهَ لَنْ يِعَاقِبَنِي فَأَنَا أُدْخِلُ الْجَنَّةَ وَظِلَّ يَسْتَهْزَأُ وَيَضْحَكُ، ثُمَّ قَالَ وَأَنْتَ لَيْسَ لَكَ عِلَاقَةٌ بِأَفْعَالِي وَتَصَرُّفَاتِي، وَظِلَّ مُسْتَكْبِرًا عَلَى الْحَقِّ، وَكَمَا قَالَ **عَبْدُ اللَّهِ: {لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}** ^١، وَرَغْمَ كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ الَّتِي فَعَلَهَا مَعِيَ وَكَلَامُهُ السَّيِّئِ كُنْتُ أَتْرَكُهُ وَأَعْرِضُ عَنْهُ، لِأَنِّي كُنْتُ أَتَذَكَّرُ صَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَذَى النَّاسِ كَمَا فِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **{كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَخْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرْبُهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}** ^٢.

وقول الله تعالى **{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }** ^٣.

^١ الزخرف ٧٨.

^٢ متفق عليه.

^٣ الأعراف ١٩٩.

وكان قاسم يحب الفتن دائماً، ويظن نفسه قوياً ولا يقدر عليه أحد، فكان دائماً يتكبر على الناس ويبحث عن المشاكل، وكنت في بعض الأحيان لا ألومه على تصرفاته لأنني أعلم أنها كانت بسبب البيئة التي عاش فيها، حيث أنها كانت مملوءة بالذنوب والمعاصي، فلم يكن رجلاً صالحاً أو امرأةً سالحةً تحته على فعل الخير والصلاة والصيام وعلى غيرها من العبادات إلا رجلاً صالحاً، وهو أخوه فكان لا يستطيع منعه من هذا الأعمال لإصراره على المعاصي والذنوب.

واستمر هذا الشاب بالمعاصي حتى وصل إلى الإدمان على المخدرات والتدخين، حتى جن جنونه، فأصبح يذهب إلى أماكن الفساد مع الفاسدات والعاريات، فوقع بإحدى الساقطات التي جعلت منه أضحوكة فدمرت حياته، فصار مجنوناً بحب هذه الفتاة فأدمن على شرب المخدرات أكثر من السابق، وأصبح يخرج في النهار، ويعود في الليل واستمر على هذه الحالة فترة من الزمن، فصار كالمجنون بسبب هذه الفتاة العاهرة التي أصبحت تلاحقه فأحبها حتى أعماه هذا الحب لهذه الفتاة التي نسيت الله فأنساها نفسها كما قال **وَعَلَىٰ**: **{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }^٤**، وقد عانى أهل قاسم من هذا الامر، إذ أن قاسم كان يرجع متأخراً وكان يعمل المشاكل مع أهله على أيسر الأمور، ورغم هذه الهموم التي كان أهل قاسم يعانونها كان هناك رجلاً صالحاً في أهله وهو أخوه واسمه محمد فكان داعياً إلى الله في بيته وكان يحزن على حال قاسم، وكان أهله يستهزؤون به في بعض المرات، وذلك لأنه يدعو إلى الله، وشاء الله في إحدى الأيام أراد قاسم أن يذهب إلى أخيه محمد في الدكان، فوجده حزينا فقال له قاسم: مالك يا محمد.....!! لماذا أنت حزين...!! فقال محمد: يحزني حالك يا قاسم.

^٤ الحشر: ١٩.

قَالَ قَاسِمٌ: وَمَاذَا فِي حَالِي...!!

فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي إِنَّ حَالَكَ سَيِّئٌ، وَأَنْتَ بَعِيدٌ عَنِ اللَّهِ، وَإِنَّ ذُنُوبَكَ وَمَعَاصِيكَ سَوْفَ تُوَدِّي بِكَ إِلَى الْهَلَاكِ، ثُمَّ قَالَ مُحَمَّدٌ لَهُ: يَا أَخِي لِمَاذَا كَلَّ ذَلِكَ...؟

أَتَظُنُّ نَفْسَكَ قَوِيًّا وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْكَ أَحَدٌ...؟

فِيَا أَخِي إِنَّ اللَّهَ أَقْوَى مِنْكَ، وَأَنْتَ لَا تَسَاوِي شَيْئًا أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ قَالَ اللَّهُ: **{وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا}**،^٥ فَيَا أَخِي ارْجِعْ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَقْوَى مِنْكَ.

فَخَرَجَ قَاسِمٌ مِنَ الدُّكَّانِ وَهُوَ مُصْعَوْقٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَظَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَرْتُّنًا بِرَأْسِهِ، إِذْ إِنَّهُ شَعَرَ بِالضَعْفِ أَمَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَبَدَأَ كَلَامُ الْحَقِّ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ، وَظَلَّ يَفَكِّرُ فِي قُوَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقُدْرَتِهِ وَفِي مُصِيرِهِ، وَفِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، حَتَّى أَصْبَحَ هَذَا الْكَلَامُ هُوَ الْبَدَايَةَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى اللَّهِ، وَسَبْحَانَ اللَّهِ رَغَمَ كُلِّ النَّصَائِحِ السَّابِقَةِ لَمْ تَوْثِرْ بِهِ سِوَى هَذِهِ الْآيَةِ، فَرَجَعَ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ وَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ، فَصَعِقَ مُحَمَّدٌ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصَدُقَ ذَلِكَ بِسَبَبِ كَثْرَةِ ذُنُوبٍ وَمَعَاصِي قَاسِمٍ وَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: يَا أَخِي لَقَدْ أَفْرَحْتَنِي هَلْ يُعْقَلُ أَنْتَ سَتُصَلِّيَ، هَلْ يُعْقَلُ أَنْتَ سَتَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ قَاسِمٌ: ادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَنِي فَإِنَّ لِي عَزِيمَةً عَلَى الصَّلَاةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، فَاحْتَضَنَ مُحَمَّدٌ أَخَاهُ وَبَكَى فَرِحًا لِتُوبَةِ أَخِيهِ، وَرَغَمَ ذَلِكَ لَمْ يَعِزْمَ قَاسِمٌ بِصَدَقٍ فِي تُوْبَتِهِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ كَبْدَرَةٍ خَيْرٍ زُرِعَتْ فِي قَلْبِ قَاسِمٍ، وَتَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَسْقِيهَا لِتَنْمُوا. فَلهَذَا كُنْتُ دَائِمًا أَقُولُ ادْعُوا إِلَى اللَّهِ، حَتَّى لَوْ رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ عَاصِيًا لِلَّهِ مَغْمُورًا بِالذُّنُوبِ فَلَا تَعْلَمُونَ أَيَّ كَلِمَةٍ تَوْثِرُ بِهِ، فَلِكُلِّ قَلْبٍ مَفْتَاخٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تَوْثِرُ تَأْثِيرًا عَجِيبًا

في القلوب، فهذا قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ٦.

فلو نظرنا الى هذه الآية الكريمة وكيف أن الله يُبين لنا أمر الدعوة فقال: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وبيّن كيفيتها، فقال: بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وذلك لأنَّ كُلَّ الْخَيْرِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَكَمَا قَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: (فَوَاللَّهِ لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ) ٧.

وبعد ذلك خَرَجَ قَاسِمٌ إِلَى الْمَعْسَكِ وَفِي الْجَيْشِ ظَلَّتْ فِكْرَةُ الصَّلَاةِ فِي رَأْسِهِ وَلَكِنْ لَمْ تَنْتَهِيَ الظُّرُوفُ الْمُنَاسِبَةُ لِلصَّلَاةِ، وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْجَيْشِ رَجُلٌ اسْمُهُ حَسَنٌ، وَكَانَ إِمَامًا فِي جَامِعِ الْمَعْسَكِ وَالتَّقَى هَذَا الرَّجُلُ بِقَاسِمٍ أَثْنَاءَ اسْتِلَامِ الرُّوَاتِبِ الشَّهْرِيَّةِ، وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

فأجابه قاسم وقال له: (هلو) ٨.

فقال له الشيخُ مِمَّا زَحَا: وَمَاذَا يَعْنِي (هلو)، فاعتذر قاسمٌ مِنَ الشَّيْخِ وَقَالَ عَفْوًا شَيْخٌ وَلَكِنْ تَعَوَّدَ لِسَانِي عَلَيْهَا، فَأَجَابَهُ وَقَالَ لَهُ مَعَ ابْتِسَامَةٍ لَطِيفَةٍ: لَا بَأْسَ حَبِيبِنَا الْغَالِي مَا اسْمُكَ حَفْظُكَ رِي؟ فَقَالَ لَهُ اسْمِي قَاسِمٌ.

وهنا سبحان الله يعملُ الداعيةُ في استغلالِ الأوقاتِ المُناسِبَةِ للدعوةِ إلى الله مع الكلمةِ الطيبةِ والوجهِ المبتسمِ والسلامِ على الناسِ التي هي طريقٌ للجنةِ كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْلَا أَدُلُّكُمْ

٦ النحل ١٢٥.

٧ قوله: "حُمْرُ النَّعَمِ": وهو من ألوان الإبل المحمودة. وهي أنفس أموال العرب ويضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه، انظر "فتح الباري" للحافظ ابن حجر (٤٧٨/٧)، و"شرح النووي على صحيح مسلم" (١٧٨/١٥).

٨ البخاري (٢٩٤٢)، سلم ٢٤٠٦ (٣٤).

٩ كلمةٌ بقولها بعض المنتسبين بالغرب ومعناها أهلا أو مرحبا

عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) ^{١٠}، وليس كما نراه من بعض الدعاة من غلظة في القول وَعَبُوسَةٍ فِي الْوَجْهِ، نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} ^{١١}.

وَبَعْدَ هَذَا التَّعَرُّفِ بَيْنَهُمَا، تَكَلَّمَ مَعَهُ فَوَجَدَ عِنْدَهُ الْآذَانَ الصَّاعِيَةَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي هَلْ تُصَلِّي، فَوَقَعَ قَاسِمٌ فِي مَوْقِفٍ حَرَجٍ بِسَبَبِ هَذَا السُّؤَالِ، وَلَا حَظَّ حَسَنٌ حَرَجَهُ، وَفِي نَظَرَةٍ ذَكِيَّةٍ حَوَّلَ حَسَنُ السُّؤَالِ إِلَى مَوْضُوعٍ فِي الصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ قَاسِمًا لَا يُصَلِّي، وَذَلِكَ حَتَّى يُخْرِجَ قَاسِمًا مِنْ هَذَا الْحَرَجِ، وَفِي أَثْنَاءِ حَدِيثِهِ مَعَ قَاسِمٍ تَأَثَّرَ قَاسِمٌ بِكَلَامِهِ وَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي إِنَّ كَلَامَكَ جَمِيلٌ وَأَيُّ سَأْخِرُكَ بِأَمْرِي فَأَخْبَرَهُ قِصَّةَ حَيَاتِهِ بِالتَّفْصِيلِ فَتَعَجَّبَ حَسَنٌ مِنْ صِدْقِ قَاسِمٍ فِي كَلَامِهِ وَجُرْأَتِهِ فِي إِخْبَارِ الْحَقِيقَةِ فَابْتَسَمَ الشَّيْخُ حَسَنٌ ابْتِسَامَةً جَمِيلَةً وَقَالَ إِلَى قَاسِمٍ: يَا أَخِي إِنَّ أَمْرَكَ بَسِيطٌ وَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَكَ، وَأَنْتَ مَقَارِنَةٌ بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ مِائَةَ رَجُلٍ لَا شَيْءَ فَأَخْبَرَهُ قِصَّةَ الرَّجُلِ التَّائِبِ الَّذِي قَتَلَ مِائَةَ رَجُلٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يُحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاحْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا

^{١٠} مسلم ٥٤ (٩٣).

^{١١} آل عمران ١٥٩.

قَطُّ فَاتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى
أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسِمَ وَهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ
الرَّحْمَةِ) ١٢.

و بعد أن أخبره القصة أخذهُ الى المسجدِ في المعسكرِ ثمَّ أَدَّنَ الشَّيْخُ الظُّهْرَ، وَقَالَ إِلَى
قَاسِمٍ: قُمْ يَا أَخِي نُصَلِّي صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ فَقَالَ مُحْرَجًا: إِنِّي قَدْ نَسِيتُ الصَّلَاةَ لِأَنِّي
صَلَيْتُ عِنْدَمَا كُنْتُ صَغِيرًا فَتَرَكْتُهَا فَقَالَ الشَّيْخُ حَسَنًا: لَا بَأْسَ سَوْفَ أَعْلَمُكَ الصَّلَاةَ
فِي الْمَسْجِدِ، وَ لَاحَظَ الشَّيْخُ ذَاكِرَةَ قَاسِمِ الْقُوَّةِ، وَقَدْرَتَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ، وَبَعْدَ أَنْ
عَلَّمَهُ الصَّلَاةَ قَامُوا فَصَلَّوْا جَمَاعَةً ثُمَّ خَرَجُوا، وَبَعْدَ أَنْ صَلَّى قَاسِمٌ مَعَ الشَّيْخِ حَسَنًا
شَعَرَ بِالرَّاحَةِ وَالطَّمَأِينَةِ وَالهُدَى، وَفَرِحَ فَرَحًا كَبِيرًا بِتَوْبَتِهِ إِلَى اللَّهِ، وَبَعْدَ مَرُورِ الْأَيَّامِ
اسْتَمَرَّ الْلِقَاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْخِ حَسَنًا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَرَكَ قَاسِمٌ الْمَخْدِرَاتِ مِنَ السِّكَاكِرِ
وَ غَيْرِهَا بِالتَّدرِجِ لِإِخْلَاصِهِ وَصَدْقِهِ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَعَلَ حَسَنًا صَدِيقَهُ قَاسِمًا
يُؤَدِّنُ فِي الْمَسْجِدِ، وَ هَذَا أَسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ بَزْرِعِ
الثَّقَةِ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بِذِكَاةِ الشَّيْخِ حَسَنًا وَ دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَ بِأَمْرِ اللَّهِ قَبْلَ
كُلِّ شَيْءٍ اهْتَدَى إِلَى الطَّرِيقِ الصَّائِبِ فَحَصَلَ بِذَلِكَ الْأَجْرُ وَ الثَّوَابُ إِذْ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ
مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ
ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) ١٣، وَ قَالَ ﷺ: (مَنْ دَلَّ عَلَى حَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) ١٤.

و بعد أن قَرَبَتْ إِجَارَةُ قَاسِمٍ أَوْصَاهُ الشَّيْخُ حَسَنًا فَقَالَ: يَا أَخِي عَلَيْكَ بِالْمَسْجِدِ
وَ شَبَابِهِ، وَ التَّرَمُّ مَعَهُمْ فَإِذَا تَرَكْتَ الْمَسْجِدَ فَإِنَّ الْإِيمَانَ سَوْفَ يَضْعُفُ فِي قَلْبِكَ وَ لَيْسَ
هَنَّاكَ أَجْمَلُ مِنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَ ذَلِكَ لِعَظِيمِ أَجْرِهَا، حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مِثْلُ

١٢ متفق عليه.

١٣ رواه مسلم (٢٦٧٤).

١٤ رواه مسلم (١٨٩٣).

الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ
مَرَّاتٍ^{١٥}.

قَالَ الْحَسَنُ وَمَا يُبْقِي ذَلِكَ مِنَ الدَّرَنِ^{١٦}.

و كما أَنَّ الصَّلَاةَ تُكَفِّرُ الذُّنُوبَ وَذَلِكَ عِنْدَ الْمُحَافِظَةِ عَلَيْهَا إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
(مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَخَضَّرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَحُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا ، إِلَّا
كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ ، مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً ، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ)^{١٧}.

ثم قَالَ لَهُ الشَّيْخُ حَسَنٌ: أَحَدِّثْكَ يَا أَخِي مِنَ الْفِتَاةِ الَّتِي كُنْتَ مَعَهَا فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ فَايْتَعِدْ
عَنْهَا، وَلَا تَكُنْ كَعَابِدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ، فَحَكَى الشَّيْخُ حَسَنٌ إِلَى
قَاسِمٍ قِصَّةَ عَابِدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ ذَكَرَ وَهَبُ بْنُ مَنبِيهٍ^{١٨} أَنَّ عَابِدًا كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَكَانَ مِنْ أَعْبِدِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَكَانَ فِي زَمَانِهِ ثَلَاثَةَ إِحْوَةٍ لَهُمْ أُحْتُ، وَكَانَتْ بِكْرًا، فَخَرَجَ
الْبَعْتُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَدْرُوا عِنْدَ مَنْ يُخْلِفُونَ أُحْتَهُمْ، وَلَا عِنْدَ مَنْ يَضْعُونَهَا، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ
عَلَى أَنْ يُخْلِفُوهَا عِنْدَ عَابِدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَاتَّوَهُ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَخْلِفُوهَا عِنْدَهُ، فَتَكُونُ فِي
كَفَنِهِ، وَجَوَارِهِ حَتَّى يَرْجِعُوا، فَأَبَى ذَلِكَ، وَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ، وَمِنْ أُحْتِهِمْ ،
فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَطَاعَهُمْ، فَقَالَ : أَنْزِلُوهَا فِي بَيْتِ حِذَاءِ صَوْمَعَتِي، فَأَنْزَلُوهَا فِي ذَلِكَ
الْبَيْتِ، ثُمَّ انْطَلَقُوا، وَتَرَكُوهَا، فَمَكَثَتْ فِي جَوَارِ ذَلِكَ الْعَابِدِ زَمَانًا يَنْزِلُ إِلَيْهَا بِالطَّعَامِ
مِنْ صَوْمَعَتِهِ، فَيَضَعُهُ عِنْدَ بَابِ الصَّوْمَعَةِ، ثُمَّ يُغْلِقُ بَابَهُ، وَيَصْعَدُ فِي صَوْمَعَتِهِ، ثُمَّ يَأْمُرُهَا
فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا فَتَأْخُذُ مَا وَضَعَ لَهَا مِنَ الطَّعَامِ، قَالَ : فَتَلَطَّفَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ
يَزَلْ يُرَغِّبُهُ فِي الْخَيْرِ، وَيُعْظِمُ عِنْدَهُ خُرُوجَ الْجَارِيَةِ مِنْ بَيْتِهَا نَهَارًا ، وَيُخَوِّفُهُ أَنْ يَرَاهَا أَحَدٌ
فَيَعْلَقُهَا ، فَلَوْ مَشَيْتَ بِطَعَامِهَا حَتَّى تَضَعَهُ عَلَى بَابِ بَيْتِهَا كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ، فَلَمْ

^{١٥} رواه مسلم ٦٨٨ (٢٨٤)

^{١٦} الوسخ.

^{١٧} رواه مسلم.

^{١٨} تلبس إبليس ص: ٤٦، ط. دار الكتب العلمية.

يَزُلُّ بِهِ حَتَّى مَشَى بِطَعَامِهَا حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى بَابِ بَيْتِهَا وَلَا يُكَلِّمُهَا، قَالَ : فَلَبِثَ بِذَلِكَ زَمَانًا، ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ فَرَعَّبَهُ فِي الْخَيْرِ وَالْأَجْرِ وَحَصَّه عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ لَوْ كُنْتَ تَمْشِي إِلَيْهَا بِطَعَامِهَا حَتَّى تَضَعَهُ فِي بَيْتِهَا كَانَ أَعْظَمَ لَأَجْرِكَ، قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَشَى إِلَيْهَا بِطَعَامِهَا فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهَا، قَالَ : فَلَبِثَ بِذَلِكَ زَمَانًا ، ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ فَرَعَّبَهُ فِي الْخَيْرِ، وَحَصَّه عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ ، لَوْ كُنْتَ تُكَلِّمُهَا وَتُحَدِّثُهَا فَتَأْنَسُ بِحَدِيثِكَ، فَإِنَّهَا قَدْ اسْتَوْحَشَتْ وَحَشَّةً شَدِيدَةً، قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى حَدَّثَهَا زَمَانًا يَطَّلِعُ إِلَيْهَا مِنْ فَوْقِ صَوْمَعَتِهِ، قَالَ : ثُمَّ أَتَاهُ إِبْلِيسُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَوْ كُنْتَ تَنْزِلُ إِلَيْهَا فَتَقْعُدُ عَلَى بَابِ صَوْمَعَتِكَ ، وَتَقْعُدُ هِيَ عَلَى بَابِ بَيْتِهَا ، فَتُحَدِّثُكَ كَانَ أَنْسَ لَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَنْزَلَهُ فَأَجْلَسَهُ عَلَى بَابِ صَوْمَعَتِهِ ، يُحَدِّثُهَا وَتَخْرُجُ الْجَارِيَةُ مِنْ بَيْتِهَا حَتَّى تَقْعُدَ عَلَى بَابِ بَيْتِهَا ، قَالَ : فَلَبِثْنَا زَمَانًا يَتَحَدَّثَانِ : ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ فَرَعَّبَهُ فِي الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ ، فِيمَا يَصْنَعُ بِهَا ، فَقَالَ لَوْ خَرَجْتَ مِنْ بَابِ صَوْمَعَتِكَ ، فَجَلَسْتَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ بَيْتِهَا فَحَدَّثْتَهَا ، كَانَ أَنْسَ لَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى فَعَلَ ، فَلَبِثْنَا بِذَلِكَ زَمَانًا ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ ، فَقَالَ لَوْ دَنَوْتَ مِنْ بَابِ بَيْتِهَا ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ دَخَلْتَ الْبَيْتَ فَحَدَّثْتَهَا ، وَلَمْ تَتْرُكْهَا تُبْرُزُ وَجْهَهَا لِأَحَدٍ كَانَ أَحْسَنَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهَا نَهَارَهُ كُلَّهُ ، فَإِذَا أَمْسَى صَعَدَ فِي صَوْمَعَتِهِ ، قَالَ : ثُمَّ أَتَاهُ إِبْلِيسُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُزَيِّنُهَا لَهُ حَتَّى ضَرَبَ الْعَابِدُ عَلَى فَحْدِهَا ، وَقَبَّلَهَا فَلَمْ يَزَلْ بِهِ إِبْلِيسُ يُحَسِّنُهَا فِي عَيْنِهِ ، وَيُسَوِّلُ لَهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا ، فَأَحْبَلَهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَجَاءَهُ إِبْلِيسُ ، فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ إِخْوَةُ هَذِهِ الْجَارِيَةِ ، وَقَدْ وُلِدَتْ مِنْكَ كَيْفَ تَصْنَعُ ، لَا أَمْنُ أَنْ تَفْتَضِحَ ، أَوْ يَفْضُحُوكَ ، فَأَعْمَدَ إِلَى ابْنِهَا فَادْبَحَهُ وَادْفَنَهُ ، فَإِنَّهَا سَتَكْتُمُ ذَلِكَ عَلَيْكَ مَخَافَةَ إِخْوَتِهَا ، أَنْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَا صَنَعْتَ بِهَا ، فَفَعَلَ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَرَاهَا تَكْتُمُ إِخْوَتَهَا مَا صَنَعْتَ بِهَا ، حُذْهَا فَادْبَحْهَا وَادْفِنْهَا مَعَ ابْنِهَا ، فَذَبَحَهَا ، وَأَلْقَاهَا فِي الْحُمَيْرَةِ

مَعَ ابْنِهَا ، وَأَطْبَقَ عَلَيْهَا صَخْرَةً عَظِيمَةً ، وَسَوَى عَلَيْهِمَا ، وَصَعَدَ إِلَى صَوْمَعَتِهِ يَتَعَبَّدُ ، فَمَكَثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى قَفَلَ إِخْوَتُهَا مِنَ الْعَزْرِ فَجَاءُوهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ أُخْتِهِمْ ، فَنَعَاهَا لَهُمْ ، وَتَرَحَّمَ عَلَيْهَا ، وَبَكَاهَا ، وَقَالَ : كَانَتْ خَيْرَ امْرَأَةٍ ، وَهَذَا قَبْرُهَا ، فَانظُرُوا إِلَيْهِ ، فَأَتَى إِخْوَتُهَا الْقَبْرَ ، فَبَكَوْا أُخْتَهُمْ وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهَا ، وَأَقَامُوا عَلَى قَبْرِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ انصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ ، قَالَ : فَلَمَّا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ ، وَأَخَذُوا مَضَاجِعَهُمْ أَنَاهُمُ الشَّيْطَانُ فِي النَّوْمِ فَبَدَأَ بِأَكْبَرِهِمْ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُخْتِهِمْ فَأَخْبَرَهُ يَقُولُ الْعَابِدِ : وَمِمَّوْتَهَا ، فَكَذَّبَهُ الشَّيْطَانُ ، وَقَالَ : لَمْ يَصُدُقْكُمْ أَمْرٌ أُخْتِكُمْ إِنَّهُ أَحْبَلَ أُخْتَكُمْ ، وَوَلَدَتْ مِنْهُ غُلَامًا فَذَبَحَهُ ، وَذَبَحَهَا مَعَهُ فَرَقًا مِنْكُمْ ، فَأَلْقَاهَا فِي حُفَيْرَةٍ حَلَفَ بِابِ الْبَيْتِ ، وَأَتَى الْأَوْسَطَ فِي مَنَامِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَى الْأَصْغَرَ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الْقَوْمُ اسْتَيْقَظُوا مُتَعَجِّبِينَ لِمَا رَأَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، يَقُولُ : رَأَيْتُ عَجَبًا ، فَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا رَأَى ، فَقَالَ كَبِيرُهُمْ : هَذَا حُلْمٌ ، لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ ، فَاْمضُوا بِنَا ، وَدَعُوا هَذَا ، قَالَ أَصْغَرُهُمْ لَا أَمْضِي حَتَّى آتِي ذَلِكَ الْمَكَانَ فَانظُرْ إِلَيْهِ ، فَانطلقُوا وَبَحَثُوا الْمَوْضِعَ ، فَوَجَدُوا أُخْتَهُمْ وَابْنَهَا مَذْبُوحَيْنِ ، فَسَأَلُوا عَنْهَا الْعَابِدَ ، فَصَدَّقَ قَوْلَ إِبْلِيسَ فِيمَا صَنَعَ بِهَا ، فَاسْتَعَدَّوْا عَلَيْهِ مَلِكُهُمْ ، فَأَنْزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ ، وَقَدَّمُوهُ لِيُصَلَّبَ ، فَلَمَّا أَوْقَفُوهُ عَلَى الْحُشْبَةِ ، أَتَاهُ الشَّيْطَانُ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ أَيُّ صَاحِبِكَ الَّذِي قَدْ فَتَنْتُكَ فِي الْمَرْأَةِ حَتَّى أَحْبَلْتَهَا وَذَبَحْتَهَا وَابْنَهَا ، فَإِنَّ أَنْتَ أَطَعْتَنِي الْيَوْمَ وَكَفَرْتَ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ خَلَصْتُكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ ، فَكَفَرَ الْعَابِدُ بِاللَّهِ ، فَلَمَّا كَفَرَ حَلَّى الشَّيْطَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ فَصَلَبُوهُ ، قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) سورة الحشر آية ١٦-١٧ .

وبعد أن سمع القصة تأثر بها، ثم صافحها، وذهب إلى البيت، وبعد أن عاد إلى البيت أخبر أهله بأنه ترك المخدرات والسكائر واتجه إلى الصلاة، وفرح أهل بيته جميعاً رغم أنهم لا يصلون، وسبب فرحتهم هو أنهم كانوا يعانون من تصرفات قاسم، والحمد لله فتوبه قاسم فتحت باباً إلى أهله في الدخول إلى التوبة إذ إنهم رأوا أن الإيمان والقرآن والعمل به يجعل من الإنسان رجلاً صالحاً نافعاً، و يرفع من قدر الإنسان، ويغيره من أفعاله الشريرة إلى إنسان كليله خير، وهذا شأن الإسلام في رفع الإنسان في الدنيا والآخرة، فقد جاء عن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبنى، قال: ومن ابن أبنى؟ قال: مؤلى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مؤلى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين^{١٩}.

فالحمد لله رب العالمين.

وبعد ذلك خرج قاسم إلى الصلاة في المسجد، فتعجب أهل المسجد أشد العجب من رؤية قاسم وهو يصلي معهم في المسجد، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن هذا الرجل ميؤوس منه ففرحوا كثيراً بتوبته ورجوعه إلى الله.

خرج قاسم بهذه الروح الجميلة التي بدرت من إخوته في المسجد بسعادة، فالتزم بالصلاة أكثر من السابق، وذلك بسبب هذه المبادرة الجميلة من شباب المسجد، و أثناء ذلك خرج فارس من فرسان الدعوة إلى الله، واسمه أحمد، وهو أحد شباب المسجد وكان يعمل نجاراً فأحبه قاسم كثيراً، وذلك لأن أسلوب أحمد كان جميلاً جداً في الكلام والتعبير عن الواقع، واستمرت العلاقة بين أحمد وقاسم، وأصبح قاسم يحبه

^{١٩} رواه مسلم ٨١٧ (٢٦٩)، ابن ماجه (٢١٨)، الدارمي (٣٤٠٨).

حباً شديداً ويتعلقُ به إذ وَجَدَ عندهُ الصدقَ والإيمانَ والالتزامَ، وكانَ كُلُّما غضبَ من أمرٍ ما ذهبَ إلى أحمدَ فيبتسمُ أحمدُ في وجهه، ويهدئه، ويحلُّ له مشاكله، وأثناء استمرارِ قَاسِمِ في العبادة، وعلاقته الجميلة مع الله رجعت هذه الفتاة إليه لتدمرَ عليه حياته، وكان قَاسِمِ رجلاً أعزباً فقاومها أشدَّ المقاومة، وبكلِّ الأساليب، و لكن جميع هذه الأساليب لم تنفع مع هذه المرأة، ورجعت حياته إلى الدمار، لكنَّهُ لم يترك الصلاة لأنَّهُ كان يتذكرُ نصيحةَ الشيخِ حسن، وأصبحَ في صراعٍ مع الشيطان حتى ضعفَ إيمانه، وقرَّرَ أن يترك الصلاة، ولكنَّهُ قبلَ ذلكَ أرادَ الذهابَ إلى صديقه أحمدَ فيخبره بالأمر، فذهبَ إلى أحمدَ و أمسكَ بيده، وقالَ له: يا أخي اعذرني إنِّي أريدُ أن أترك الصلاة، وبكى قَاسِمِ بكاءً شديداً وذلكَ لأنَّهُ ذاقَ حلاوةَ الإيمانِ، ولا يريدُ في قرارة نفسه أن يرجعَ للظلامِ الذي كان فيه، ولكنَّها حَبائلُ الشيطانِ لتدميرِ المسلمِ وإخراجه من النورِ إلى الظلماتِ.

ف عندما سمعَ أحمدُ كلامه قامَ ومَسَحَ دُمُوعَهُ، وسأله عن سببِ تركهِ للصلاة، فقالَ: يا أخي لا أريدُ أن أصبحَ خائناً، فسأله أحمدُ لماذا...؟ فقالَ قَاسِمِ: إنني عندما صليتُ وتبتُّ إلى الله توبةً نصوحاً عاهدتُ الله على الصّدقِ، وأشعرُ بأنني لستُ صادقاً مع الله، ثم بعد ذلكَ أخبرَ قَاسِمِ قصته مع الفتاة العاهرة التي تريدُ أن توقعَ به، فسكتَ أحمدُ طويلاً وذلكَ لأنَّهُ علمَ بأنَّ المسألةَ خطيرةٌ، لأنَّها تمسُّ الصلاةَ التي هي كما قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)^{٢٠}.

وبعد ذلكَ وجدَ أحمدُ حلاً لقَاسِمِ، فقالَ له يا أخي تزوج، قالَ: يا أخي لا أملكُ مالاً للزواج، و أنا عسكري و هذه المسألةُ صعبةٌ جداً، ومستحيلةٌ، فقالَ له أحمدُ: يا أخي أنت رجل فاعمل، قالَ قَاسِمِ: و لكنني لا أملكُ تكاليفَ الزواجِ فمثلاً غرفة

^{٢٠} رواه الترمذي (٢٦٢١) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٣٧).

الزواج سعرها غالٍ جداً، وهي أهمُّ شيءٍ في الزواج، وتكاليفُ الزفافِ وغيرها، قالَ له أحمدُ: هذا الأمرُ يسيرٌ جداً فأنا أعملُ نجاراً و سوف أجدُ لكَ غرفةً بسعرٍ مناسبٍ، وسأعطيكَ بعضَ المالِ ديناً، وأنتَ اعملِ عندما ترجع في الإجازة، واجعلِ المالَ الذي تجنيه من العملِ عندي حتى تستطيعَ الزواج، وفعلاً فكَّرَ قاسمٌ بهذا الحلِ فوجدهُ مناسباً، فقرَّرَ أن يعملَ وأن يأخذَ بنصيحةِ أخيه أحمد، فما أجملَ هذه الأخوةِ فهي مصداقُ لقوله ﷺ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)^{٢١}، وما أجملَ هذا التعاونَ الذي حصلَ بين قاسمٍ وأحمدَ وصدقَ رسولُ الله ﷺ حينما قالَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى)^{٢٢}، ثم حكى أحمدُ إلى قاسمٍ قصةَ عبید بنِ عميرٍ فقالَ له:

كَانَتْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ بِمَكَّةَ، وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ، فَنَظَرَتْ يَوْمًا إِلَى وَجْهِهَا فِي الْمَرَاةِ، فَقَالَتْ لِزَوْجِهَا: أَتَرَى أَحَدًا يَرَى هَذَا الْوَجْهَ؛ لَا يُفْتَنُ بِهِ؟

قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: مَنْ؟

قَالَ: عَبِيدُ بْنُ عُمَيْرٍ!

قَالَتْ: فَأَذُنُ لِي فِيهِ؛ فَلَأُفْتِنَهُ! قَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَكَ!

قَالَ: فَاتَتْهُ كَالْمُسْتَفْتِيَةِ^{٢٣}، فَخَلَا مَعَهَا فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. قَالَ: فَأَسْفَرَتْ عَنْ وَجْهِ مِثْلِ فَلَقَةِ الْقَمَرِ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّةَ اللَّهِ اسْتَتِرِي!

قَالَتْ: إِنِّي قَدْ فُتِنْتُ بِكَ فَاَنْظُرْ فِي أَمْرِي؟

قَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ أَنْتِ صَدَقْتِيْنِي؛ نَظَرْتُ فِي أَمْرِكَ؟

^{٢١} الحجرات.

^{٢٢} متفق عليه.

^{٢٣} أي تطلبُ منه الفتوى.

قَالَتْ: لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا صَدَقْتُكَ.

قَالَ: أَحْرَبْنِي: لَوْ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ أَتَاكَ لِيَقْبِضَ رُوحَكَ؛ أَكَانَ يَسْرُوكِ أَيْ قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ؛ لَا. قَالَ: صَدَقْتِ. قَالَ: فَلَوْ أُدْخِلْتِ فِي قَبْرِكَ وَأَجْلَسْتِ لِلْمُسَاءَلَةِ؛ أَكَانَ يَسْرُوكِ أَيْ قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ؛ لَا. قَالَ: صَدَقْتِ.

قَالَ: فَلَوْ أَنَّ النَّاسَ أَعْطُوا كُتُبَهُمْ وَلَا تَدْرِينَ تَأْخُذِينَ كِتَابَكَ بِيَمِينِكَ أَمْ بِشِمَالِكَ؛ أَكَانَ يَسْرُوكِ أَيْ قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ قَالَتْ: اللَّهُمَّ؛ لَا.

قَالَ: صَدَقْتِ. قَالَ: فَلَوْ جِيءَ بِالْمَوَازِينِ وَجِيءَ بِكَ لَا تَدْرِينَ تَخْفِينِ أَمْ تَثْقُلِينَ؛ أَكَانَ يَسْرُوكِ أَيْ قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ؛ لَا. قَالَ: صَدَقْتِ.

قَالَ: فَلَوْ وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِلْمُسَاءَلَةِ؛ أَكَانَ يَسْرُوكِ أَيْ قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ؛ لَا. قَالَ: صَدَقْتِ.

قَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا أُمَّةَ اللَّهِ! فَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ.

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى زَوْجِهَا، فَقَالَ: مَا صَنَعْتِ؟

قَالَتْ: أَنْتَ بَطَّالٌ، وَنَحْنُ بَطَّالُونَ.

فَأَقْبَلْتُ عَلَى الصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْعِبَادَةِ.

قَالَ: فَكَانَ زَوْجُهَا يَقُولُ: مَا لِي وَلِعَبِيدِ بْنِ عُمَيْرٍ!؟

أَفْسَدَ عَلَيَّ امْرَأَتِي؛ كَانَتْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عَرُوسًا، فَصَيَّرَهَا رَاهِبَةً^{٢٤}.

^{٢٤} روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص(٣٤٠) طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" (٦) / ١٩٧-١٩٨، و"ذم الهوى" (ص ٢٦٥).

و بعدها تأثر قاسمٌ بهذه القصة، وقال الحمدُ لله الذي منَّ علينا بالإسلامِ ورزقني بأخٍ مثلك، وبعد ذلك عملَ قاسمٌ ليلاً و نهاراً لأجلِ أن يعفَّ نفسه من الزنا، وبعد انتهاء الخدمة العسكرية في الجيشِ فتحَ اللهُ عليه ورزقه رزقاً كبيراً واستمرَّ قاسمٌ بوضع النقودِ عندَ أحمدَ حتى يجمعَ مالاً لتكملة تكاليفِ الزواج، ولم يجمع هذا المالَ إلا بالتعبِ والعملِ والجديَّةِ والإصرارِ، فوجدَ أحمدُ غرفةً جميلةً واشتراها له وبعثها له إلى البيتِ، فهذه هي الأخوةُ في الله فأدامَ اللهُ هذه الأخوةَ التي بُنيت على الحبِّ في الله، ولكن سُبْحانَ الله يبقى أهلُ الضلالِ شياطينُ الإنسِ والجنِّ بإغواءِ المؤمنين وصدِّهم عن سبيلِ الله وطاعته، إذ خلال هذه الفترة رجعت له الفتاةُ مرةً أخرى لتغويه وتصدِّه عن سبيلِ الله وكما قالَ تعالى: **(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً)**^{٢٥}، ولكنَّهُ أبا أن يعملَ الفاحشةَ معها رغمَ كلِّ المغرياتِ، فقد كانت كلماتُ الشَّيخِ حسنَ والأخ أحمدَ تراوده دائماً، فتركها وابتعدَ عنها، وهكذا الأيمانُ عندما يخالطُ القلوبَ فيجعلُ منَ الإنسانِ شخصاً آخرَ والحمدُ لله على كلِّ شيءٍ.

وبعدَها بحثَ قاسمٌ عن امرأةٍ صالحةٍ ليتزوجها، وخلالِ عمله رأى امرأةً فأعجبته، وكانت صالحةً ملتزمةً في الدينِ، قنوعةً بما أتاها اللهُ من رزقه فخطبها ففقتت به رغمَ فقره و كانت تكاليفُ الزواجِ قليلةً، ثمَّ تزوجها ففتحَ اللهُ عليه فتحاً كبيراً، فسبحانَ الذي هدى هذا العبدَ إلى التوبةِ، وجعلَ له من أمره مخرجاً، فصدقَ اللهُ **عَلَيْكَ** عندما قالَ: **{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا }**^{٢٦}.

^{٢٥} البقرة ٢٦٨.^{٢٦} الطلاق ٣.

وبهذا الإصرار والصبر على طاعة الله استطاع قاسم أن يكون رجلاً صالحاً مؤمناً بالله عز وجل، وداعياً من أجل رفع كلمة لا إله إلا الله، بعد أن كان شاباً عاصياً ومبتعداً عن الله، ففتح الله عليه أبواب رحمته فأبواب رحمة الله واسعة، وعاش مع زوجته على طاعة الله ورسوله ﷺ وأصبح لديه أطفال ربّاهم على طاعة الله ورسوله، ليكونوا له نبراساً في يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم .

فيا أحبتي في الله....

يا من عرفتم الله ورحمته الواسعة ارجعوا إلى الله ولا تيأسوا وتقنطوا من رحمته، حتى لو كانت أوضاعكم صعبةً وذنوبكم كثيرةً، فلا تجعلوا هذا الشيء سبباً في معصيتكم لله، وإذا رجعتُم إلى الله فصدقوني سوف تجدون الخير كله وستشعرون بجلاوة الإيمان بعد أن يدخل قلوبكم، وستعلمون كيف أن الله سيرزقكم وسيجعل لكم مخرجاً من حيث لا تحسبون.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

انتهيت من كتابتها في القطار بطريق الموصل بغداد في ١٤١٥ للهجرة، وأضفت لها بعض الإضافات في ١٤٤٠ للهجرة.

خادم الكتاب والسنة أبو عبد الله العيالي